

قصص الأنبياء

محمد

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (33)

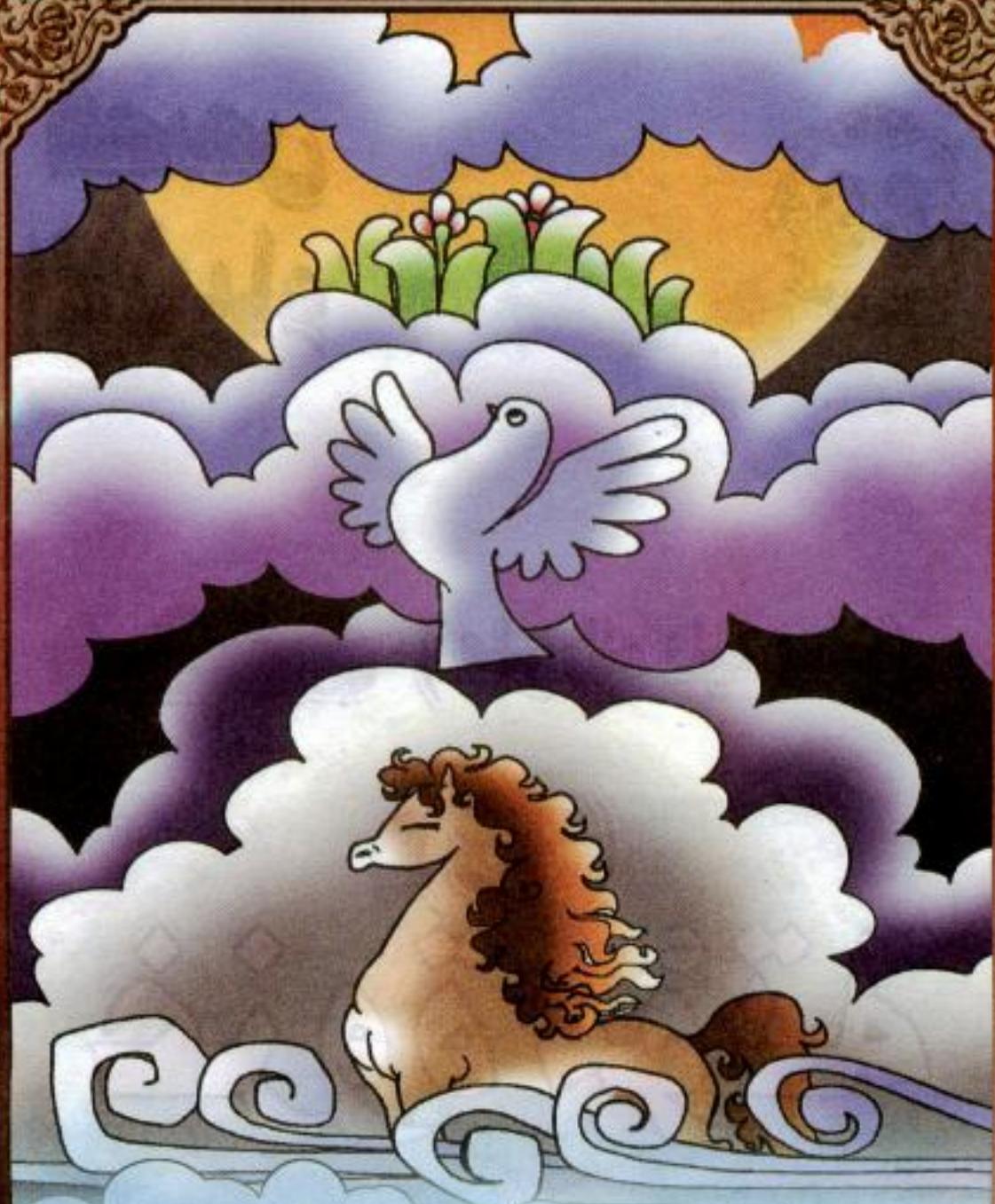
خزوة مؤتة

بتقلم: أ. عبد الرحيم عبد المقصود

رسوم: أ. عبد الشافى سيد

إشراف: أ. حمدى م. طلسى





بعث رسول الله ﷺ (الحارث بن عمير) برسالة
إلى ملك (بصرى) بالشام ، يدعوه فيها إلى الدخول
في الإسلام ..

وَكَانَتِ الشَّامُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ وَاقِعَةً تَحْتَ حُكْمِ

الرُّومِ ..

وَلَمَّا وَصَلَ (الْحَارِثُ) إِلَى قَرْيَةً تُسَمَّى (مُؤْتَةً) عَلَى حُدُودِ الشَّامِ، اعْتَرَضَ طَرِيقَهُ (شَرْحَبِيلُ بْنُ عَمْرُو) مِنْ (غَسَانَ)، وَقَالَ لَهُ :

— إِلَى أَيْنَ أَنْتَ ذَاهِبٌ؟

فَقَالَ لَهُ (الْحَارِثُ) :

— إِلَى الشَّامِ، لَا يَلْبُغُ رِسَالَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى مَلِكِ (بُصْرَى) ..

فَقَالَ لَهُ (شَرْحَبِيلُ) :

— إِذَنْ فَأَنْتَ مِنْ رِسْلِ مُحَمَّدٍ؟!

وَأَمْرَ (شَرْحَبِيلُ) بِالْقِبْضِ عَلَى (الْحَارِثِ) وَقَتْلِهِ .. وَكَانَتْ هَذِهِ الْمَرَّةُ الْأُولَى وَالْآخِيرَةُ، الَّتِي يُقْتَلُ فِيهَا رَسُولُ الْنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ..

وَلَمَّا عَلِمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَقْتَلِ رَسُولِهِ فِي قَرْيَةِ (مُؤْتَةَ)

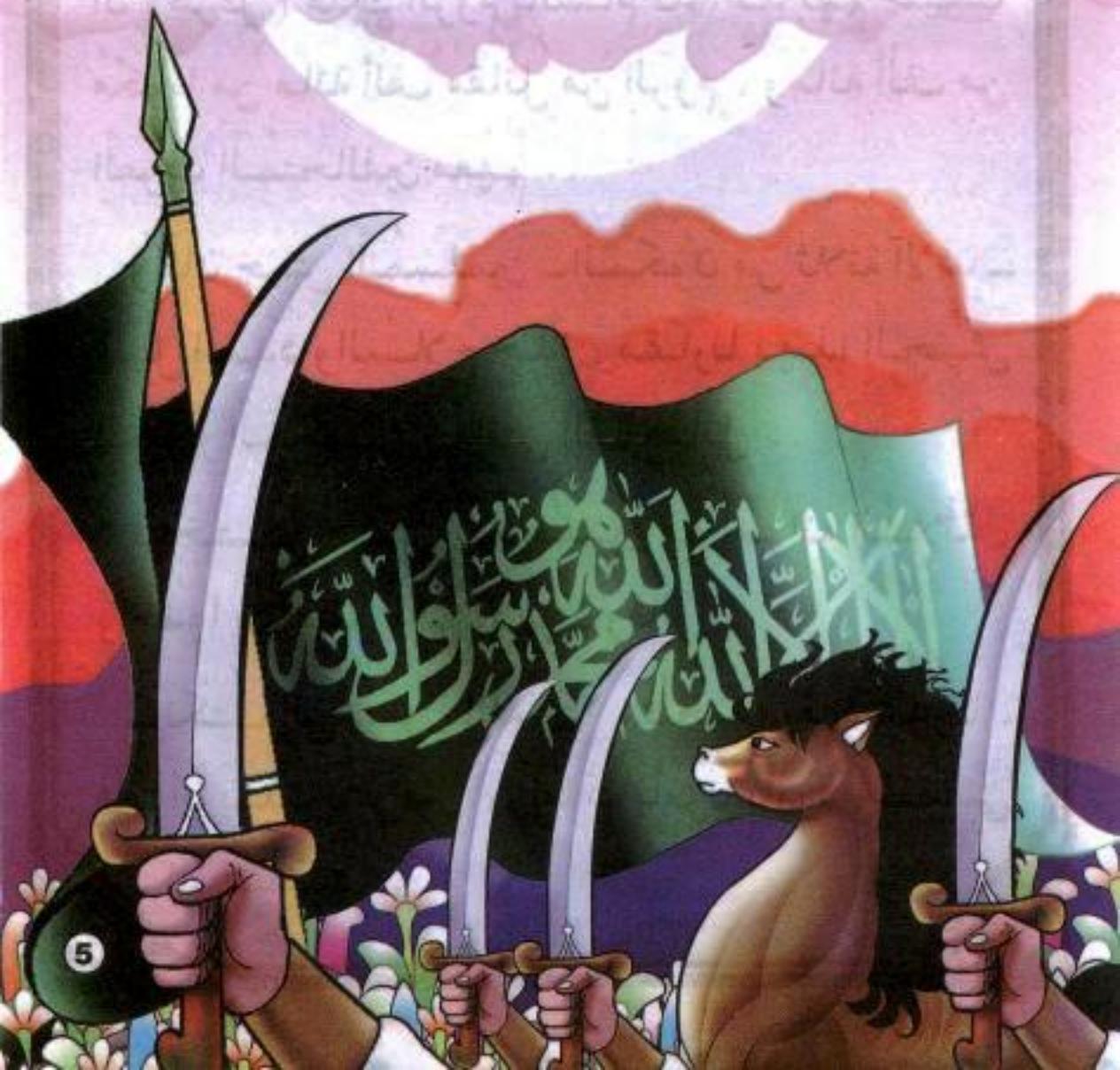
عَلَى حُدُودِ الشَّامِ حَزَنَ لِذَلِكَ ، وَدَعَا النَّاسَ إِلَى
الْخُرُوجِ لِلْجَهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، لِإِرْهَابِ الرُّومِ وَمَنْ
يُحَالِفُهُمْ مِنَ الْقَبَائِلِ الْعَرَبِيَّةِ فِي الشَّامِ ، حَتَّى
لَا يَتَجَرَّءُوا عَلَى غَزْوِ الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ ..

وَفِي شَهْرِ (جُمَادَى) مِنَ السَّنَةِ الثَّامِنَةِ لِلْهِجَرَةِ
كَانَ جَيْشُ الْمُسْلِمِينَ جَاهِزًا لِلتَّحْرِكِ ، فَعَيْنَ رَسُولُ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصَّحَابَى الْجَلِيلَ (زَيْدُ بْنُ حَارَثَةَ) أَمِيرًا
لِلْجَيْشِ ؛ فَإِنْ اسْتَشْهَدَ تَوْلَى قِيَادَةَ الْجَيْشِ الصَّحَابَى
الْجَلِيلَ (جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ) ؛ فَإِنْ اسْتَشْهَدَ تَوْلَى
قِيَادَةَ الْجَيْشِ الصَّحَابَى الْجَلِيلَ (عَبْدُ اللَّهِ بْنُ
رَوَاحَةَ) فَإِنْ اسْتَشْهَدَ فَلَيَتَفَقَّدَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى رَجُلٍ
مِنْهُمْ يَجْعَلُونَهُ أَمِيرًا لِلْجَيْشِ ..

وَلَمَّا تَهَيَّأَ الْجَيْشُ لِمُغَادَرَةِ الْمَدِينَةِ فِي طَرِيقِهِ إِلَى
الشَّامِ خَرَجَ النَّاسُ يُودِعُونَ أَمْرَاءَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
فَبَكَى (عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ) ، فَسَأَلَوْهُ عَمَّا يُبَكِّيهِ ،

فَقَالَ :

—وَاللَّهُ مَا أَبْكَى حُبًّا فِي الدُّنْيَا ، وَلَا خَوْفًا مِنَ الْمَوْتِ ،
وَلَكُنَّى سَمِعْتُ اللَّهَ (تَعَالَى) ، يَقُولُ : « وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا
وَارِدُهَا » فَلَسْتُ أَدْرِى كَيْفَ لِي بِالصُّدُورِ بَعْدَ الْوَرُودِ ..
(أَيْ بِالابْتِعَادِ عَنِ النَّارِ بَعْدَ الْقُدُومِ عَلَيْهَا) ..
فَقَالَ الْمُؤْدِعُونَ :



ـ صَحْبُكُمُ اللَّهُ وَرَدُّكُمْ إِلَيْنَا صَالِحِينَ ، وَدَفَعَ
عَنْكُمْ كَيْدَ الْأَعْدَاءِ ..

وَوَدَعَ الْجَيْشُ وَأَمْرَاؤُهُ الْثَلَاثَةُ الْمُسْلِمِينَ ، وَسَارُوا
عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ قَاصِدِينَ حُدُودَ الشَّامِ ، حَتَّى وَصَلُوا
إِلَى أَطْرَافِ الشَّامِ مِنْ نَاحِيَةِ الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ فَعَلَمُوا
أَنَّ (هَرَقْلَ) مَلِكُ الرُّومِ بِالشَّامِ قَدْ أَعْدَدَ لَهُمْ جَيْشًا
مُكَوَّنًا مِنْ مَائَةِ أَلْفٍ مُقَاتِلٍ مِنَ الرُّومِ ، وَمَائَةِ أَلْفٍ مِنَ
الْعَرَبِ الْمُتَحَالِفِينَ مَعَهُمْ ..

وَكَانَ جَيْشُ الْمُسْلِمِينَ - الْمُكَوَّنُ مِنْ ثَلَاثَةِ آلَافِ -
قَلِيلُ الْعَدَدِ وَالسُّلَاحِ جَدًا ، مَقَارِنًا بِهَذَا الْجَيْشِ
الْجَرَارِ الْمُكَوَّنِ مِنْ مَائِتَيِّ أَلْفٍ مُقَاتِلٍ ..
فَاجْتَمَعَ جَيْشُ الْمُسْلِمِينَ مَعَ أَمْرَائِهِ الْثَلَاثَةِ ،
وَأَخْذُوا يَتَنَاقَّشُونَ فِي الْأَمْرِ ، وَقَالُوا :

ـ نَكْتُبُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَنَخْبِرُهُ بِعَدْدِ عَدُوِّنَا ،
فَإِمَّا أَنْ يَمْدُنَا بِالرِّجَالِ ، وَإِمَّا أَنْ يَأْمُرَنَا بِأَمْرِهِ ، فَنَمْضِي
إِلَى تَنْفِيذِهِ ..

فَقَامَ (عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ) يَخْطُبُ فِي النَّاسِ
وَيُشْجِعُهُمْ عَلَى لِقَاءِ عَدُوِّهِمْ وَقَاتَالِهِ ، قَائِلاً :

– يَا قَوْمٌ ، إِنَّ الَّتِي تَكْرَهُونَ هِيَ الَّتِي خَرَجْتُمْ لَهَا
تَطْلُبُونَ .. الشَّهَادَةَ .. وَنَحْنُ لَا نُقَاتِلُ النَّاسَ بَعْدَ
وَلَا قُوَّةٍ وَلَا كَثْرَةٍ ، وَإِنَّمَا نُقَاتِلُهُمْ بِهَذَا الدِّينِ الَّذِي
أَكْرَمَنَا اللَّهُ بِهِ ، فَإِنْطَلَقُوا لِقَتَالِ عَدُوِّكُمْ حَتَّىٰ تَفْرُزُوا
بِالنَّصْرِ أَوِ الشَّهَادَةَ ..

فَتَحْمَسُ الْمُسْلِمُونَ لِلقاءِ عَدُوِّهِمْ ، وَقَالُوا :

– صَدَقُ بْنُ رَوَاحَةَ .. صَدَقُ بْنُ رَوَاحَةَ ..

وَوَاصَلَ جَيْشُ الْمُسْلِمِينَ سِيرَهُ حَتَّىٰ وَصَلَ إِلَى
(مُؤْتَةً) عَلَى حُدُودِ الشَّامِ ، فَعَسَكَرُوا بِهَا ، وَوَقَفُوا
يُنْظَرُونَ إِلَى جَيْشِ الرُّومِ الْهَائِلِ ، الَّذِي عَسَكَرَ قَرِيبًا
مِنْهُمْ ..

رَأَوْا مَا لَا قَبْلَ لَهُمْ بِقَاتَالِهِمْ مِنْ كَثْرَةِ الْعَدَدِ وَالْعُدَّةِ ،

فَهَالَّهُمْ مَا رَأَوْا ، لَكُنْ إِيمَانَهُمْ بِاللَّهِ وَحْرَصَهُمْ عَلَى
نِصْرِ دِينِهِمْ ، حَفَزَهُمْ عَلَى لِقَاءِ عَدُوِّهِمْ ..
وَالْتَّقِيُّ الْجِيَشَانِ .. جَيْشٌ يُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
وَالْحَقِّ ، وَجَيْشٌ يُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ الشَّيْطَانِ وَالْحَرْصِ
عَلَى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ..

وَحَمَلَ (زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ) رَبِيعَتَهُ رَايَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
مُتَقْدِمًا جَيْشَ الْمُسْلِمِينَ ، فَصَالَ وَجَالَ فِي جَيْشِ
الْأَعْدَاءِ ، وَقَاتَلَ حَتَّى أَكْرَمَهُ اللَّهُ (تَعَالَى) بِالشَّهَادَةِ ،
فَاسْتُشْهِدَ فِي سَبِيلِ إِعْلَاءِ كَلْمَةِ اللَّهِ ، وَسَقَطَتْ مِنْهُ
الرَايَةُ ..

وَتَقْدِمُ (جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ) رَبِيعَتَهُ ، فَحَمَلَ الرَايَةَ ،
وَقَادَ جَيْشَ الْمُسْلِمِينَ حَسْبَ وَصِيَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ..
صَالَ (جَعْفَرٌ) وَجَالَ بَيْنَ صُفُوفِ الْأَعْدَاءِ
وَالْمُسْلِمُونَ خَلْفَهُ ، حَتَّى اشْتَدَ الْقَتَالُ ، فَنَزَلَ عَنْ
فَرَسِهِ ، وَأَخْذَ يَحْصُدُ رَءُوسَ الْأَعْدَاءِ بِسَيْفِهِ ، وَكَانَ

يَحْمِلُ الرَّاِيَةَ بِيَمِينِهِ ، فَأَصَابَهُ أَحَدُ الرُّومِ بِضَرْبَةٍ قَطَعَتْ
يَمِينَهُ ، فَحَمَلَ الرَّاِيَةَ بِشَمَالِهِ ، فَأَصَبَهُ بِضَرْبَةٍ قَطَعَتْ
شَمَالَهُ ، فَاحْتَضَنَ الرَّاِيَةَ بَيْنَ عَصْدِيهِ ، وَأَخَذَ يُقَاتِلُ بِهَا ،
حَتَّى تَكَاثَرَ عَلَيْهِ الْأَعْدَاءُ بِسَيْوَفِهِمْ فَسَقَطَ شَهِيدًا ..



وقد أثابه الله - تعالى - بذراعيه المقطوعتين
جناحين يطير بهما في الجنة حيث شاء ، فهو
(جعفر الطيار) ..

فلما استشهد (جعفر بن أبي طالب) رضي الله عنه ، تقدم
(عبد الله بن رواحة) رضي الله عنه فحمل الرأية تنفيذاً لأمر
رسول الله صلوات الله عليه ، وتقدم على فرسه ليقاتل الروم ،
لكنه توقف متردداً ، وكان التعب والجوع بادياً
عليه ، فرأاه ابن عم له وهو على هذه الحال من
الإعياء والتعب ، وكان معه قطعة عظم عليها قليل
من اللحم ، فقدمها له قائلاً :

- خذ هذه شد بها صلبك ، فإنما قد لقيت في هذه
الأيام من التعب ما لقيت ..

فأخذها (ابن رواحة) منه وأخذ منها قطعة بفمه ،
ثم تلفت حوله ، فرأى المسلمين منهمكين في قتال
عدوهم ، فألقى باللحم بعيداً ، وأخذ يلوم نفسه

ويعنفها على هذا الوقت الذي يُضيّعه في أمر تافه
من أمور الدنيا ..

ثم أخذ سيفه وهجم على الأعداء يقاتلهم ، حتى
أكرمه الله - تعالى - بالشهادة ، فسقط على الأرض
وسقطت الرأية من يده ..

وهكذا استشهد الأماء الثلاثة الذين عينهم رسول
الله ﷺ لقيادة الجيش واحداً وراء الآخر ، فحمل
الرأية أحد المقاتلين وهو (ثابت بن أرقم) رضي الله عنه ،
قائلاً للمسلمين :

- اخترُوا أميراً يحمل رأية رسول الله ﷺ ،
ويكون قائداً للجيش ..

فقال المسلمين :

- لقد اخترناك يا ثابت لتقودنا ..
فقال (ثابت) رضي الله عنه :

- أنا لا أصلح لقيادة الجيش .. اخترُوا واحداً منكم ..

فَاجْتَمَعَ النَّاسُ وَاخْتَارُوا (خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ) ضَوْعَتْ
لِيَكُونَ أَمِيرًا لِّلْجَيْشِ ..

فَلَمَّا تَوَلَّ (خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ) ضَوْعَتْ قِيَادَةَ الْجَيْشِ ،
وَرَأَى كَثْرَةَ جَيْشِ الرُّومِ وَقُوَّةَ سَلَاحِهِمْ وَتَحْصِينَاتِهِمْ ،
وَرَأَى قَلَّةَ عَدْدِ الْمُسْلِمِينَ وَكَثْرَةَ عَدْدِ الَّذِينَ يَسْتَشْهِدُونَ
مِنْهُمْ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ ، عَلِمَ أَنَّ الْمَعْرِكَةَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ
وَالرُّومِ مَعْرِكَةٌ غَيْرُ مُتَكَافِئَةٌ ، وَأَنَّهُ لَوْ اسْتَمْرَ الْحَالُ
عَلَى ذَلِكَ فَسَوْفَ يَفْنِي جَيْشُ الْمُسْلِمِينَ عَنْ آخِرِهِ ،
دُونَ أَنْ يَتَمَكَّنَ مِنْ إِحْرَازِ النُّصْرِ عَلَى الْأَعْدَاءِ ..

وَلِذَلِكَ أَخَذَ (خَالِدُ) ضَوْعَتْ يُفَكِّرُ فِي حِيلَةٍ يُنْقَذُ بِهَا
جَيْشُ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْهَلاَكِ ، حَتَّىٰ هَدَاهُ اللَّهُ إِلَىٰ هَذِهِ
الْحِيلَةِ ، فَأَخَذَ يَنَاوِشُ الرُّومَ ، وَالرُّومُ يَنَاوِشُونَهُ مِنْ بَعِيدٍ ،
وَالْقَىٰ اللَّهُ - تَعَالَىٰ - الرُّعْبَ فِي جَيْشِ الرُّومِ ، فَأَخَذُوا
يَبْتَعِدُونَ عَنْ جَيْشِ الْمُسْلِمِينَ شَيْئًا فَشَيْئًا ، وَأَخَذَ جَيْشُ
الْمُسْلِمِينَ يَبْتَعِدُ شَيْئًا فَشَيْئًا ، حَتَّىٰ انْصَرَفَ كُلُّ مِنْ
الْجَيْشَيْنِ عَنِ الْآخِرِ .. وَكَفَىٰ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقَتَالَ ..

وَعَادَ جَيْشُ الْمُسْلِمِينَ مُتَّخِذًا طَرِيقَهُ إِلَى الْمَدِينَةِ ..

وَقَبْلَ أَنْ تَصِلَّ الْأَخْبَارُ إِلَى الْمَدِينَةِ بِمَا حَدَّثَ لِجَيْشِ
الْمُسْلِمِينَ فِي (مُؤْتَةِ) كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ
مَا حَدَّثَ لِلْأَمْرَاءِ الْثَلَاثَةِ ، وَمَا حَدَّثَ لِلْجَيْشِ مَعَ الرُّومِ
لَحْظَةً فَلَحْظَةً ، فَصَعَدَ مِنْبَرَهُ بِالْمَسْجِدِ ، وَأَمْرَ مُنَادِيَا
أَنْ يُنَادِي فِي النَّاسِ لِيَجْمِعُهُمْ ، فَلَمَّا اجْتَمَعَ النَّاسُ
بِالْمَسْجِدِ ، قَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ :



- «أَخْبَرَكُمْ عَنْ جِيشِكُمْ هَذَا .. إِنَّهُمْ أَنْطَلَقُوا فَلَقُوا الْعَدُوَّ ، فَقُتِلَ زَيْدٌ شَهِيدًا» ..

ثُمَّ أَسْتَغْفِرُ لَهُ ، فَاسْتَغْفِرُ الْمُسْلِمُونَ لَهُ .. ثُمَّ قَالَ عَلَيْهِ :

- «ثُمَّ أَخَذَ اللَّوَاءَ جَعْفَرًا ، فَشَدَّ عَلَى الْقَوْمِ ، حَتَّى قُتِلَ شَهِيدًا» ..

وَاسْتَغْفِرَ لَهُ ، فَاسْتَغْفِرُ الْمُسْلِمُونَ لَهُ .. ثُمَّ قَالَ عَلَيْهِ :

- «ثُمَّ أَخَذَ اللَّوَاءَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ ، فَأَثْبَتَ قَدَمِيهِ حَتَّى قُتِلَ شَهِيدًا» ..

وَاسْتَغْفِرَ لَهُ ، فَاسْتَغْفِرُ الْمُسْلِمُونَ لَهُ .. ثُمَّ قَالَ عَلَيْهِ :

- «ثُمَّ أَخَذَ اللَّوَاءَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ ، وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْأَمْرَاءِ» ..

ثُمَّ دَعَا لَهُ قَائِلاً :

- «اللَّهُمَّ إِنَّهُ سَيْفٌ مِنْ سَيْوفِكَ ، فَأَنْتَ تَنْصُرُهُ» ..

وَمِنْذُ ذَلِكَ الْيَوْمِ سُمِيَ (خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ) خَلْفَهُ (سَيْفَ اللَّهِ) ..

وَانْطَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى بَيْتِ (جَعْفَرَ بْنِ أَبِي طَالِبٍ) لِيَنْعِي إِلَى زَوْجِهِ نَبِأً اسْتِشَهَادِهِ ، فَلَمَّا دَخَلَ الدَّارَ ، قَالَ لِزَوْجِهِ :

- « أَتَنِي بِبَنِي جَعْفَرٍ » ..

فَلَمَّا أَحْضَرَتْ زَوْجَهُ (جَعْفَرَ) أَبْنَاءَهَا لَهُ أَخَذَ عَلَيْهِمْ يَضْمِمُهُمْ إِلَيْهِ ، وَيَرْبِتُ عَلَيْهِمْ فِي حَنَانٍ ، ثُمَّ دَمَعَتْ عَيْنَاهُ ، فَقَالَتْ لَهُ :

- يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا يُبَكِّيكَ ؟

هَلْ بَلَغَكَ عَنْ جَعْفَرٍ وَأَصْحَابِهِ شَيْءٌ ؟

فَقَالَ عَلَيْهِ :

- « نَعَمْ .. أُصِيبُوا هَذَا الْيَوْمَ » ..

فَأَخَذَتْ تَبْكِي ، وَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَمْسُحُ عَلَى رُؤُسِ أَبْنَاءِ (جَعْفَرَ) وَعَيْنَاهُ تَفِيضَانَ بِالدَّمْوعِ رَحْمَةً بِهِمْ وَشَفَقَةً عَلَيْهِمْ ، ثُمَّ دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَبِّهِ قَائِلًا :

- « اللَّهُمَّ إِنَّ جَعْفَرَ قَدْ قَدِمَ إِلَيْكَ ، إِلَى أَحْسَنِ ثَوَابٍ ،

فَالْخَلْفَهُ فِي ذُرِّيَّتِهِ بِأَحْسَنِ مَا خَلَفَتْ أَحَدًا مِنْ
عَبَادَكَ فِي ذُرِّيَّتِهِ » ..

ثُمَّ الْتَّفَتَ الرَّسُولُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى زَوْجَهِ (جَعْفَرَ) ، قَائِلًا :
— « يَا أَسْمَاءً ، أَلَا أُبَشِّرُكِ ؟ » .

فَقَالَتْ :

— بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ ..

فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

— « إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ لِجَعْفَرَ جَنَاحَيْنِ يَطِيرُ بِهِمَا فِي
الْجَنَّةِ » ..

(تمَّ)

رقم الإيداع : ٢٠٠٤/٣٩

الترقيم الدولي : ٦٧٧ - ٦٧٨ - ٦٧٩

فَصَرِّحَ الْأَنْبِيَا • الْكِتَابُ التَّالِي

مُحَمَّد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)

(٣٤) رَسَائِلُ الْمُلُوكِ

• احْرُصْ عَلَى اقْتَنَاهُ •